

تاريخ الاستلام: 2024/11/29 تاريخ القبول: 2025/04/07

الملخص:

برهنَ الفرسان النوميديون في الكثير من المعارك عن قوتهم وإقدامهم من خلال طريقة قتالهم الفعالة رغم تسليحهم البسيط والتجهيز البدائي لخيولهم، ولم تُركّز الكتابات القديمة على الدور الكبير لسلح الخيالة النوميديّة سواء في الجيش النوميدي أو كفرق مساعدة في الجيشين القرطاجي والروماني، هذا ما أجبر الباحثين على الاعتماد على بعض الإشارات في المصادر الأدبية التي جاءت خلال سرد أحداث المعارك والمواجهات التي شارك فيها الفرسان النوميديون، فبالإضافة لهذه الكتابات اعتمد الباحثون على المخلّفات الأثرية التي صورت الفارس النوميدي والتي جاءت لتؤكد التوصيف الذي جاء في المصادر التاريخية. ومن خلال هذا البحث، سنحاول إبراز أهمّ العوامل والوسائل التي رفعت من فعالية الخيالة النوميديّة. الكلمات المفتاحية: الخيالة؛ النوميدي؛ خطط حربية؛ تكتيك.

Abstract:

In many clashes, the numid horsemen have demonstrated their strength and effective fighting method despite their simple weaponry and primitive equipping of their horses. Ancient writings did not focus much on the important role of the Numid cavalry, either in the Numid army or as auxiliary troops in other armies such as the Carthaginoan army and the Romanian army. Archaeological remains depicting the Numid cavalry confirm the description that comes from different historical sources.

Through this research we will try to highlight the most important factors and characteristics that increased the effectiveness of the Numidian cavalry.

Keywords: Cavalry; Numidian; War strategists; Tactic.

الخيالة النوميديّة: تسليحها
وتكتيكاتها الحربيةThe Numidian cavalry : its
weaponry and tactics

بلعيبود بدرالدين / جامعة الجزائر 02

الجزائر

badreddine.belaiboud@univ-alger2.dz

المؤلف المرسل:



كانت منطقة شمال إفريقيا محل أطماع للكثير من الأمم على غرار الفينيقيين، الإغريق والرومان، وكانت الصراعات العسكرية لا تخلو في تاريخ هذه المنطقة عبر القرون المتعاقبة، ما جعل الليبيين وبعدهم النوميديين والموريشيون على تربية عسكرية تجعلهم مستعدين لأي طارئ، فكان للخيالة دورا متميزا، واحتل الفارس مكانة كبيرة في المجتمع النوميدي، ويستدل على ذلك من خلال كتابات القدامى والشواهد الأثرية من مسكوكات وأنصاب، كما احتل الحصان مكانة كبيرة في الحياة اليومية وفي مختلف المجالات، وفي زمن الحروب قامت الخيالة بدور أساسي وكانت متميزة من ناحية تسليح فرسانها، ومن ناحية طرق وتكتيكات قتالها من جهة أخرى. حيث سنركز من خلال هذا المقال على العوامل والمميزات التي رفعت من الفعالية القتالية للفرسان النوميديين.

1. مكانة الحصان في المجتمع النوميدي

ما يؤكد الاهتمام بتربية الخيول في نوميديا هو ذكره "سترابون" على أن ملوك نوميديا كانوا يقومون بإحصاء المهور كل عام، وقد تم إحصاء مائة ألف مهر دون أن يحدد في أي فترة تم ذلك¹، وقد أرجع "ستيفان قزال" هذا الاهتمام الكبير بتربية الخيول من قبل ملوك نوميديا هو حاجتهم إلى امتلاك خيالة ممتازة للحفاظ على سيادتهم وركوب الخيل²، وتبرز مكانة الخيالة في عددها الكبير بالنسبة لعدد المشاة، مما يبرهن على المكانة الممتازة التي يشغلها الحصان في الجيوش الملكية³، فحسب "سترابون" فإن مدينة سيرتا في زمن ميكيثيسا يمكنها أن تجد لوحدها عشرة آلاف فارس⁴.

تدل نسبة الفرسان العالية مقارنة بالمشاة على العدد الكبير للخيول في إفريقيا، وكانت نوميديا أكثر المناطق إنتاجا للخيول، وأكدت المصادر على أن ملوك نوميديا أولوا عناية كبيرة بتربية المواشي خاصة تربية الخيول، وكانت السباقات من بين أكثر الاهتمامات للفرسان النوميديين، كانت إفريقيا من بين المناطق التي كانت تعرف بتربية الخيول الموجهة للسباقات وللسرك⁵.

من ناحية تربية الخيول في نوميديا، فإنها تتحمل مختلف عوامل المناخ⁶، وهي لا تحتاج إلى عناية خاصة⁷، حتى قال "أبيانوس" عن الحصان النوميدي أنه لا يعرف ذوق الشعير، ويكتفي بالعشب ولا يشرب إلا قليلا⁸، فهي لا تحتاج الكثير من الكأ وتستطيع التوم في الهواء الطلق، ويعبر "سترابون" على قناعة الحصان النوميدي: "عند نزول الفارس من على ظهر الحصان بعد قطع مسافة طويلة يتركه ليبحث عن الكأ بكل حرية⁹، ومن ناحية التدريب تعتبر الخيول النوميديية هادئة وتروض بسهولة¹⁰.

حظي الحصان بمكانة كبيرة في الحياة العامة للنوميديين، فالحصان يستجيب للكثير من الاحتياجات اليومية، حيث استخدم في زمن السلم والحرب، واعترف بهم القدامى أنهم من أحسن الفرسان، كما كانوا



يحسنون ركوب الخيل منذ الطفولة، يمتطونها دون سرج وهذا حسب ما ذكرته الكثير من النصوص القديمة وبرهنت عليه المخلفات الأثرية من منحوتات ومسكوكات، وكان النوميديون لا يستخدمون الشكيمة ولا اللجام ولا مهماز، وكان الفارس يحمل عصا صغيرة ليقود الحصان، وفي بعض الأحيان يوضع على رقبة الحصان طوقاً¹¹، ومن بين أهم مجالات استخدام الخيول في المجتمع النوميدي نجد:

1.1 الصّيد

هناك الكثير من محطات الفن الصّخري في الصّحراء تحتوي على مشاهد للصّيد، حيث نشاهد أفراداً يرمون طرائدهم وهو ما يؤكّد المكانة الكبيرة التي حظيت بها هذه العادة، واستخدم الليبيون الخيول في مطاردة الغزلان¹²، وكان الصّيد يمارس منذ القدم سواء بهدف توفير الطّعام أو التّصدي للحيوانات الضارية التي تهاجم الأفراد والمواشي¹³.

كان الأفارقة في البداية يصطادون الحيوانات المتوحشة دفاعاً عن أنفسهم، وفيما بعد أصبح الصّيد لتبليّة حاجة الرّومان في استخدام هذه الحيوانات في مختلف الألعاب¹⁴، وكان النوميديون في الغالب يمارسون الصّيد وهم على ظهور الخيول ليطاردوا مختلف أنواع الحيوانات البرية كالنعام والحُمُر الوحشية والثّعالب، سواء برميهم بالرّماح أو إمساكهم بالحبال¹⁵، كان الصّيد الهواية المفضّلة عند النوميديين، فكانوا يقضون أوقات طويلة في تتبع الحيوانات المفترسة¹⁶.

فالصّيد كان عبارة عن نوع من أنواع التّدريب على القتال، ويذكر "أبيانوس" أن "ماسينيسا" استطاع أن يجمع حوالي ألفي رجل من النوميديين، ووجههم للصّيد ليملؤوا أوقات فراغهم بنشاط بدني، وفي نفس الوقت كنوع من التّدريب العسكري¹⁷.

2.1 السباق

كان النوميديون يمارسون الفروسية وسباق الخيل منذ صغرهم، وهي الهواية المفضّلة لديهم، كانت إفريقيا مشهورة بتربية خيول السباق. قام "مصطنبل" بن "ماسينيسا" بتربية الخيول وأحرز مرتين على جوائز في الألعاب الأثنية (Panathénées) سنتي 168 و164 ق.م، كما فازت الخيول النوميديّة في العديد من السباقات في روما¹⁸.

3.1 الحرب

تناولت الكثير من الكتابات القديمة دور الخيالة النوميديّة في المجال العسكري، وما هو مؤكّد أن النوميديين استطاعوا دائماً أن يجمعوا عدداً كبيراً من فرق الخيالة خلال الحروب، وهناك الكثير من الأمثلة المعروفة التي تخص تعداد الفرسان النوميديين خلال المواجهات، يذكر "تيتيوس ليفيوس" أن "سيفاكس" التحق



بالقرطاجيين سنة 204 ق.م على رأس خمسين ألف من المشاة وعشرة آلاف من الفرسان¹⁹، كما ذكر أن في إحدى معارك "يوغرتا" شارك في صفوفه ستين ألف فارس²⁰.

2. طبيعة الفرسان في الجيش النوميدي

يمكن أن نميّز عند النوميديين نوعين من الخيالة: الخيالة النخبة وهم الفرسان الدائمون. والخيالة الاحتياطيون هم الفرسان الذين يستدعون عند اندلاع الحروب وعند الحاجة، وكان هذا التقسيم موجودا قبل الملك "يوبو الأول" حيث كان لملوك نوميديا فرسان نخبة نظاميين لا يشاركون إلا في المواجهات الكبيرة، غير أن هذه الفرق تختلف عن الخيالة الخفيفة فيما يخص السرعة وسهولة الحركة والمناورة، بالإضافة إلى الفرسان المرتزقة الذين وُظفوا في الجيوش النوميديّة حسب الأوضاع والظروف²¹.

1.2 الفرسان الدائمون

يعتبر الحرس الملكي والحاميات في مختلف المدن النواة الصلبة التي تقوم عليها القوّات النوميديّة، وكان الجيش يُوزع على شكل وحدات تحت قيادة ضباط يتولون تدريبه من ذوي التجربة والخبرة في الحروب والقدرة على فرض النظام، كانت هذه القوّات أكثر تجهيزا ومزودة بالأسلحة الهجومية والدفاعية، وأشارت المصادر إلى تكوين فيالق من المشاة ثقيلي العدة، كما كانت خيول الفرسان الدائمين تحمل الشكيمة، وجاءت إشارات في المصادر الأدبية حول ذلك، وهو ما أشار إليه "الكاتب المجهول" (Pseudo-César) في حديثه حول "يوبو الأول" عند التحاقه بالقائد "سكيبو" على رأس قوّة مشكّلة من ثلاث فرق من المشاة الثقيلة وثمانمائة من الفرسان النوميديين النظاميين وعدد كبير من الفرسان النوميديين غير النظاميين الذين لا يستخدمون اللجام وجزء كبير من المشاة خفيفي العدة وثلاثون فيلا²².

وهو النّص الذي يفهم منه وجود نوعين من الفرسان: النظاميون وغير النظاميين المسلحين بالرمح المعروف استخدامه بكثرة عند النوميديين حتى اعتبر السلاح الوطني لهم²³، وكان في هذه القوّات النظامية الفرسان والمشاة، وقد أشاد المؤرخون بالدور الذي كان يلعبه الفرسان في القوّات النوميديّة، فإضافة إلى الخيول الجيدة وكثيرة العدد بناء على تلك المصادر فقد اشتهر النوميديون بالفروسية التي كانت رياضتهم المفضلة، ما جعل نسبة الفرسان تكون مرتفعة في هذه القوّات²⁴.

2.2 فرسان الاحتياط

إضافة إلى الوحدات النظامية نجد وحدات الاحتياط التي تجند عند اندلاع الحرب وتسرح بمجرد انتهائها، وما يدل على هذا ما أورده "تيتيوس ليفيوس" حين يتحدث عن تسليم "سيفاكس" الأسلحة والخيول للعديد من النوميديين الذين جندهم، وأنه قدّم حشدا من الفلاحين الذين زوّدهم بالأسلحة والخيول، وأكّد أنه سيُجند كلّ



الذين يمكن تجنيدهم في مملكته²⁵، مما يدل على إمكانيات التّجنيد الكبيرة في المملكة، ورغم نقص التّدريب الذي قد يبدو عند هؤلاء الاحتياطين الذين يتدربون تدريباً خفيفاً²⁶، غير أن هذا النّقص تعوضه الصفات القتالية التي يتمتع بها النّوميديون: قوّة التحمل والخفة والشّجاعة²⁷.

3.2 الفرسان المرتزقة

تشير بعض النّصوص إلى استخدام الملوك النّوميديين المرتزقة من الليغوريين والتّراقيين والإيبيريين، فقد تحدث "سالوستيوس" عن ليغوريين وتراقيين في صفوف قوّة "يوغرتا"²⁸، وتحدّث "الكاتب المجهول" عن فرسان غاليين وإيبيريين قاتلوا في جيش "يوبّا الأوّل".

3. أنواع الخيالة النّوميديّة

يمكن تقسيم الخيالة النّوميديّة حسب تسليحها وتدريبها ومهامها إلى نوعين، هما:

1.3 الخيالة الثّقيلة

لا نملك إلّا القليل من المعلومات حول الخيالة النّوميديّة الثّقيلة في الفترة التي سبقت حكم "يوبّا الأوّل"، وبالرّغم من أن النّوميديين كانوا في اتصال دائم مع القرطاجيين والرّومان لاحقاً إلّا أنّهم لم يتأثروا بهم كثيراً في المجال العسكري، وآثروا الاحتفاظ بتقاليدهم في مجال الفروسية²⁹. لم تذكر الخيالة النّوميديّة الثّقيلة من طرف الكاتب القدامى بشكل صريح إلّا في فترة حكم الملك "يوبّا الأوّل"، حيث كانت الخيالة في هذه الفترة مجهزة وتختلف عن الخيالة الخفيفة التي لم تكن تستخدم السّرج واللجام، وأطلق على الخيالة الثّقيلة اسم فرسان النخبة. وأشار الكاتب المجهول إلى الخيالة الثّقيلة للملك "يوبّا الأوّل" بأنّها وحدات جندت ودربت لتشكيل الحرس المقرب، وتتميز هذه الخيالة بأنّها فرق منظمة ومشكلة من خيول مسروجة وملجمة³⁰.

2.3 الخيالة الخفيفة

عرفت تقاليد الفروسية للنّوميديين من خلال المصادر الأدبيّة، فـ "سترابون" يقول عن النّوميديين أنّهم يقاتلون في أغلب الأحيان ممتطين الخيول ويحملون رماحاً، ولا يستخدمون لجاماً ويمتطون خيولاً من دون سروج، وكان الفارس يستخدم طوقاً من حبل نباتي أو من شعر، وخيولهم صغيرة وطبيعة يقودونها باستعمال عصا صغيرة، ويتبع الحصان الفارس كما يتبع الكلب سيده³¹، هناك الكثير من الكاتب القدامى الذين أشاروا إلى فعالية الخيالة الخفيفة، حيث يرجع "سيلبيوس ايتاليكوس" ذلك إلى الشروط الطّبيعية التي تشجع الفروسية وتشجع تربية الخيول حيث يقول: "هنا يركض الفرسان النّوميديون بكلّ حرّية على خيول بدون أعنة يقودونها فقط باستعمال عصا صغيرة على عنق الحصان، وهذه العصا لها نفس الدور والفعالية مع اللجام"³².



ورُصدت صوّر فرسان الخيالة الخفيفة على الأنصاب بشكل واسع خاصة في منطقتي القبائل وقسنطينة بالجزائر، كما حملت المسكوكات كثيرا من صور فرسان هذا النوع من الخيالة عكس فرسان الخيالة الثقيلة، وتظهر أنصاب منطقة القبائل الكبرى فارسا ممتطيا حصانا غير مسروح وغير ملجوم. ومن أشهر هذه الأنصاب هو نصب أبيزار، وسمي بذلك نسبة لاكتشافه في قرية أبيزار، ولاية تيزي وزو عام 1858م، ويظهر في النصب رجل ذو وجه دائري ولحية طويلة مدببة من الأسفل، يمتطي حصانا بلا سرج ويحمل بيده اليسرى درعا وثلاثة رماح ورافعا يده اليمنى، وتوجد بين الإبهام والسبابة حلقة دائرية³³.

كما يوجد ضمن هذه المجموعة أيضا نصب برج منايل، وكنصب أبيزار صور فارس ممتطي حصانا غير مسروح ويحمل بيده اليسرى درعا دائريا صغيرا ورمحين، وجاء رأس الفارس وصدره بمنظر مقابل، عكس حوضه وأطرافه السفلى التي صوّرت بالمنظر الجانبي. وكما هو الحال في أغلب أنصاب التي تنتمي لنفس المجموعة يحمل الفارس في يده اليمنى قطعة دائرية. ويتميز نصب برج منايل عن الأنصاب الأخرى كون الفارس في صدره وفي ساعده الأيمن شارات ربما قد تكون وشما. أما بالنسبة للحصان فهو مصوّر بمظهر جانبي وينظر نحو اليمين، وذيله طويل ومضفور وينتهي بقطعتين كرويتين³⁴.

هناك أيضا نصب سيدي نعمان الذي عثر عليه في الضفة اليمنى لواد سباو غير بعيدة عن ذراع بن خدة، جاءت صورة الفارس غير مختلفة عن باقي أنصاب المجموعة، يحمل الفارس بيده اليسرى درعا دائريا وثلاثة رماح، وهي نفس العدة الذي يحملها الفارس المصوّر في أنصاب المجموعة³⁵. بالإضافة إلى الأنصاب المذكورة يوجد عددا من الأنصاب التي صورت الفارس التوميدي، وفي أغلبها تشترك في المظهر العام وفي التفاصيل سواء كان بالنسبة للفارس أو بالنسبة للحصان وكلّها تنتمي إلى مجموعة نصب أبيزار مثل أنصاب بوجمعة والسّوامع والشّرفة وسمعون.

4. تسليح الخيالة التوميديّة

يحارب الفرسان التوميديون باستعمال رماح قصيرة نوعا ما، وهي من أسلحة الرمي حيث تنتهي بقطعة حديدية حادة قد تكون عريضة أو ضيقة، كما يحمل الفارس أيضا خنجرًا بحدّ واحد، ويحمل الفارس درعا صغيرا دائريا أو بيضوي الشكل مصنوع من الجلد³⁶، وتشكل عُدّة الفارس التوميدي أساسا من:

1.4 الرّمح

اعتبر "ستيفان قزال" الرّمح سلاحا وطنيا للأفارقة³⁷، وتشير المصادر إلى استعمال التوميديين لهذا السلاح في الصيد وفي الحرب، وهو يكاد يكون سلاح الهجوم الوحيد الذي يمتلكونه، وكانت مسافة الرمي بالرّمح



تصل إلى أربعين متراً، وكان الأفارقة بصفة عامّة يرمونها بنفس البراعة التي اشتهر بها الفرس والبارثيون، وكان كلّ فارس يحمل معه ثلاثة رماح على الأقل كما ورد عند "هيرودوت"³⁸. أما "سيلوس إيتاليكوس" فذكر بأن الرّمح الليبي صنع من القصب³⁹، لكن الرّسومات الصّخرية تدعم ما جاء في المصادر الأدبية الأخرى بأن أسنة الرّماح كانت معدنية وهي مثلثة الشكل يتضح ذلك من خلال النّتوءات التي تظهر في وسطها⁴⁰.

يطلق أغلب الكتاب على الأسلحة التي يحملها الفرسان المصورين في أنصاب منطقة القبائل بالرّماح لكن هذه التسمية لا تعتبر حقيقة على هذا السلاح، الرّمح يتميز بصاري أطول بكثير مما صور في أنصاب مجموعة أبيضار وفي نقوش الأطلس الأعلى بالمغرب، حيث صوّرت الصّوّاري قصيرة وغليلة تشبه للحربة وهو سلاح استعمله الأفارقة في عدة مجالات، وهو سلاح يستعمل للرّماية ويمكن أن يستعمل كسلاح للطعن، لكن عدد الرّماح التي يحملها الفرس دليل أن الفرس يستعمل هذا السلاح للرمي⁴¹. وهو ما أشارت له النّصوص القديمة. يعتبر الرّمح من دون أدنى شك السلاح الأساسي للأفارقة، وكان كل رجل يحمل رمحين أو ثلاثة، وكانت عبارة عن صوّاري خشبية مثبتة في طرفها أسنة معدنية⁴²، من بين ما عثر في ضريح الخروب رأسين لرمح ولحربة، مشكّلتين من أسطوانتين طويلتين حيث يدخل الصّاري الخشبي فيها، رأس الرّمح ضيق ومدبب بينما رأس الحربة عريض على شكل ورقة الرّند⁴³.

2.4 الدّرع

عرف استخدام الدّروع في إفريقيا منذ زمن بعيد، حيث هناك العديد من رسومات ونقوش الفن الصّخري التي تصوّر أفراد يحملون دروعاً، وذكر هيرودوت أن الليبيين كانوا يستعملون أدوات للحماية مصنوعة بجلد النعام⁴⁴ وجلود الفيلة، ومن المزايا التي تتمتع بها الجلود هو خفتها سواء في المعركة أو أثناء التنقل. وتحدّث "سترابون" على نوع آخر من وسائل الحماية هي واقية الصّدر التي تصنع هي أيضاً من الجلود⁴⁵، وهناك شكلين للدّروع:

- الدّرع الدائري

عُثر على العديد من الرّسومات الصّخرية والنقوش في كثير من المواقع تعود إلى الفترة النّيبوليتية، وتمثل محاربين صحراويين يحملون دروعاً صغيرة مستديرة الشكل، وكان الدّرع الدائري الأكثر استعمالاً لدى الأفارقة، واستعمله النّوميديون للفرسان وللمشاة معاً، ويذكر سترابون أن الأفارقة يستخدمون دروعاً صغيرة مصنوعة من جلود الفيلة⁴⁶، والكثير من الشواهد المادية منحوتات لدروع دائرية، مثل: مجموعة أبيضار التي كلّ مواضعها تدور حول فرسان يحمل درعاً دائرياً صغيراً ورمحاً، ونصب من معبد الحفرة، وكعناصر زخرفية معمارية كما هو الحال بالنسبة لضريح لخروب.

- الدّرع البيضوي



بالإضافة إلى الدروع الدائرية التي كانت كثيرة الاستعمال، هناك شكل آخر من دروع تأخذ الشكل البيضوي، عثر على رسومات صخرية في الغرب الجزائري صوّرت فيها دروع بيضوية الشكل⁴⁷، كما نجد أنصبا نحت فيها هذا الشكل من الدروع، كما هو الحال بالنسبة لنصب من معبد الحفرة⁴⁸.

5. الخطط العسكرية للخيالة النوميديّة

هناك فرق بين الخطة والاستراتيجية، فالخطة هي توظيف مختلف الوسائل للإنتصار في المعركة، وعرفها "جومني" وأوردها "ديبورت" في كتابه: "الخطة هي فنّ القتال في الميدان... وتشمل حركة الجيش في ميدان القتال أو طريقة القتال، ومختلف التشكيلات لقيادة الفرق للهجوم". أما الاستراتيجية فهي توظيف مختلف الوسائل للإنتصار في الحرب، وقال "جيموني": "الاستراتيجية هي فن تنفيذ الحرب على الخرائط"⁴⁹.

عرفت الشّعوب القديمة على غرار النوميديين أن طرق القتال غير المباشر تكون أقل تكلفة في العدد وأحسن طريقة في مواجهة العدو، مع أن هذه الطرق أقل شرفا من الحروب المفتوحة، واعتبر الرومان الحيل الحربية منافية لمبادئهم، لكن خلال الحرب البونية الثانية في مواجهة القرطاجيين المعروفين بكثرة حيلهم وخططهم الحربية، حيث تبني الرومان العمل بالحيل واعتبروها دليلا على الذكاء إذا كانت من قبلهم، ويعتبرونها خيانة إذا جاءت من طرف أعدائهم⁵⁰.

من بين أهم الإجراءات المطبقة في هذا المجال: حراسة الطّرق والمرتفعات لاستباق تحركات العدو، الهجوم على العدو في طريق عودته وانسحابه والكمائن باستخدام فرق الخيالة والقتال الليلي والجوسسة، وما إلى ذلك من إجراءات. ومن النقاط الهامة الذي يأخذها المخطط بعين الاعتبار هي الاختيار المناسب للميدان التي يتم فيه تطبيق الخطة، لتحقيق المباغته وخلق الفوضى في صفوف العدو ما يدفعه إلى الفرار ما يسفر عن ذلك خسائر كبيرة، هناك العديد من الخطط التي طبقتها الجيوش في الفترة القديمة وتهدف دائما إلى مباغته العدو⁵¹.

استخدم النوميديون كغيرهم من الشّعوب خططا في حروبهم ومعاركهم، كما أشار إلى ذلك ايليوس إيتاليكوس الذي قال عن إفريقيا أنها أرض الحروب والمحاربين ولا تتم الثقة بالسيف إلا إذا رافقته الحيلة⁵²، أما لوكان فقال في سياق حديثه: "...مخافة حيل الأفارقة وحروبهم البونية المليئة بالحيل"⁵³. وتكمن الخطط العسكرية التي كان تطبقها الخيالة النوميديّة في إطار الخطة العامة للجيش فيما يلي:

1.5 حرب العصابات



يمكن اعتبار حرب العصابات كإستراتيجية حربية وكخطة عسكرية في آن واحد وهي عبارة عن خيار إستراتيجي أو تملية الظّروف، فهذا من المواجهة يكون حيال عدو لا يمكن التّفوق عليه في الحرب المفتوحة، من خلال هذا المفهوم نتكلم على حرب العصابات كإستراتيجية حربية يتبناها عادة الطرف الأضعف في الصّراع⁵⁴.

أحيانا تبني التّوميديون حرب العصابات مرغمين بسبب عدم تكافؤ القوى بينهم وبين عدوهم فلجؤا لإستراتيجية حرب العصابات في مجابهة الجيوش المنظمة التي تفوقهم عددا وعدة. أما إذا تكلمنا عن حرب العصابات كخطة حربية فهي مجموعة من المناورات والعمليات التي تطبقها قوّة عسكرية قليلة العدد حيال قوّة أكبر أو جيش نظامي، وتكمن هذه الخطط في عمليات المعارك والكرّ والفرّ.

تعتبر عملية الكرّ والفرّ من خطط حرب العصابات التي تميز بها التّوميديون، وحسب "بوليبوس" فإنّ المقاتلين التّوميديين ينقسمون إلى مجموعات صغيرة تنسحب من المعركة لتعود بكل قوّة⁵⁵، تقوم الخيالة النّوميديّة بالتّظاهر بالهجوم على قوّة العدو، وما إن يستعد فرسان العدو بالهجوم يتراجع الفرسان التّوميديين وينتشرون في كلّ اتجاه، ليعودوا بقوّة لينقضوا على فرسان العدو المتراجعين في خسائر كبيرة⁵⁶.

وهذا ما دفع بعض الكتاب لاعتبار الفرسان التّوميديين خيالة ممتازة لإثارة المعارك وزرع الفوضى والرّعب في صفوف العدو خاصة مع الصّيحات التي ترافق هجوماتهم، كما تعتبر الخيالة الخفيفة فعالة جدّا للمطاردة والقضاء على الفارين والمنهزمين، حيث تحرّمهم من أي هدنة أو راحة⁵⁷.

عندنا تهجم فرقة من خيالة من العدو على الفرسان التّوميديين يقومون بالانسحاب والتّفرق في جميع الاتجاهات، فإذا لم يتمكن الفرسان التّوميديون من صدّ الهجوم يستغلون الفرص لينقضوا عليهم من الخلف أو من الجوانب⁵⁸. كما كان الفرسان أثناء المعارك يعتمدون على زرع الفوضى بين الصّفوف، لخلط أوراق المعركة، حيث يختلط العدو بالصّديق والخيالة بالمشاة، وفي ظل هذه الفوضى المختلقة يقوم الفرسان باختراق صفوف العدو⁵⁹.

طبّق "يوغرتا" حرب العصابات بهدف استنزاف القوّة الرومانية حيث كان للخيالة دور أساسي في هذه المعارك، حيث كان القائد النّوميدي يتتبع القوّة الرومانية متّخذا من المرتفعات طريقا له وذلك دون الاحتكاك بهم، وأحيانا يظهر لهم ويختفي ما يجعل الجيش الروماني دائم التّرقب والحذر وهذا ما يحرمهم من الرّاحة⁶⁰.

2.5 الكمائن

أشار العديد من المؤرخين القدامى أنّ التّوميديين كانوا بارعين في تطبيق خطط الحرب والحيل في مواجهة أعدائهم، وهذا ما أشار إليه "الكاتب المجهول" أنّ نوميديا مليئة بالفخاخ⁶¹. وتعتبر الكمائن من أكثر الخطط التي طبقها التّوميديون في معاركهم، وهو ما اشتهر به يوغرتا في حربه ضدّ الرومان⁶². وكان التّوميديون



يعرفون بكثرة الكمائن، وذكر "سالوستيوس" أن الرومان كانوا يخافون عند سماع صوت الخطى التي يستشعرون من خلالها قرب النوميديين ما يتسبب لهم بالارتباك⁶³.

في كثير من الحالات استخدمت الخيالة النوميديّة كطعم لاستدراج العدو، وهو ما أورده "بوليبوس" بأن فرسانا نوميديين في جيش حنبعل كلّفوا باستدراج القنصل "سومبرونيوس" للضفة الأخرى لنهر تريي حيث كان حنبعل يترصد به⁶⁴، تمهيدا لهذه المعركة في إطار الحرب البونية الثانية.

3.5 التّمويه

إذا كان عدد العدو كبيرا جدا ويستحيل مواجهتهم، يتم حينها تقسيم الخيالة حينها إلى مجموعات صغيرة يسهل تنقلها وتخفيها، لتتجمع في وقت لاحق في مكان معلوم، وهو بالضبط ما قام به "ماسينيسا" لما واجه قوّات "سيفاكس" والقوّات القرطاجية، حيث كان على رأس قوّة من الفرسان، فانقسموا إلى مجموعات صغيرة ليتمكنوا من الانتشار والتخفي بعيدا عن أنظار القوّات المعادية، بعد أن حدّد لهم الملك مكانا وزمانا محددين للتجمع من جديد⁶⁵.

من بين خطط التّمويه التي طبّقها الخيالة النوميديّة هو ما ذكره "فرونطان" عن فرسان نوميديين في ليغوريا كانوا ضمن القوّات المساعدة في الجيش الروماني تحت قيادة القنصل "كوينتوس مينوكيوس" كان يبدو مظهرهم رثا وحركاتهم غير منتظمة وكانوا يتظاهرون بالسقوط من على ظهور الخيول، ليشكلوا عرضا يغري جنود العدو في التخلي عن مواقعهم وصفوفهم، ويقرب الفرسان النوميديين ببطء، وما إن تحين الفرصة ينطلق الفرسان يشقون الصفوف التي فقد تراصها وتماسكها⁶⁶. وهو ما أشار له "تيتيوس ليفيوس" حيث قال: "أنه للوهلة الأولى تبدو الخيالة النوميديّة بمظهر بسيط جدّا وبعدد غير معتبر، وكما يظهر الفارس من دون الحزام الحربي ولا يحمل من الأسلحة سوى بضعة رماح، ويمتطي الفرسان خيولا غير مسرجة"⁶⁷.



6. الخاتمة

لم يذكر الكتاب القدامى إفريقيّا في كتاباتهم إلّا إذا تعلق الأمر بعلاقات مباشرة أو غير مباشرة بالإغريق أو بالرومان، وجاء في كتابات الكثير منهم وصف الحروب والمعارك التي كان فيها الرومان طرفا أساسيا، وكانت إفريقيّا مسرحا لكثير من الأحداث الكبيرة التي كان لها تأثيرا كبيرا في مجرى تاريخ المنطقة، وفي خضم وصف الحروب والمعارك تعرض المؤرخون للخيالة النوميديّة في مختلف المواجهات العسكرية التي شاركت فيها، سواء في الجيش النوميدي أو كقوات مساعدة في جيوش أخرى، هؤلاء الفرسان الذي قال عنهم تيتيوس ليفيوس بأنهم أفضل الخيالة في إفريقيّا على الإطلاق، وفيما يلي سنعرض بعض النماذج العسكرية التي كان للفرسان النوميديين دورا حاسما فيها.

حافظ الفرسان النوميديون على تقاليد الفروسية عبر قرون طويلة، فمن خلال الكتابات الكلاسيكية تناول الكتاب القدامى خصائص ومميزات الفرسان النوميديين، سواء من جانب كيفية ركوب الحصان الذي يميزها عن غيرها في عدم استخدام السّرج واللجام، ومن جانب تسليح الفارس النوميدي الذي يعتمد على أسلحة خفيفة لكنها فعالة وتتمثل في الدرع الدائري والرّماح، وهذا ما تؤكده الشّواهد الأثرية، كما تميّزت الخيالة النوميديّة بفعالية قتالية عالية عبر طريقة القتال والخطط التي طبقتها في المعارك ما جعل منها القوّة الضاربة للجيش النوميدي، وأيضا كفرق مساعدة في الجيش القرطاجي وفي الجيش الرّوماني، وكان للفرسان النوميديين دورا حاسما في الكثير من الحروب والمعارك، ورغم الاحتلال الرّوماني لإفريقيّا إلّا أن تقاليد الفروسية النوميديّة استمرّت لفترة غير قصيرة من الزمن.

7. الهوامش

¹ Strabon, *Géographie*, Trad. M. Coray, Paris, 1819, XVII, 3, 19.

² Gsell, St., *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, V, Librairie Hachette et C^{ie}, Paris, 1927, p.182.

³ حارش محمد الهادي، مملكة نوميديا. دراسة حضارية منذ القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول ق.م، الجزائر، 2013، ص.155.

⁴ Strabon, XVII, 3, 13.

⁵ Ait Amara, O., « Le cheval en Numidie : bilan des connaissances », *Aquila Legionis*, 2014-2015, pp.23-44, Madrid p.24.

⁶ Gsell, St., *HAAN*, VII, 1928 a, p.155.

⁷ Lucain, *Guerre civile*, Trad. Bourgerie, Paris, 1976, IV, 678.

⁸ Appien, *Histoire romaine*, Trad. P. Goukowsky, Paris, 2001, IX, 42-45.

⁹ Strabon, XVII, 3, 7.

¹⁰ Strabon, XVII, 3, 7.

¹¹ فرحاتي فتيحة، نوميديا: من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الرّوماني 213-46 ق.م، الجزائر، 2007، ص.227.

¹² Elien, *Nature Animaux*, Trad.A. Zucker, Paris, 2002, XIV, 14.

¹³ Hérodote, *Histoires*, Trad. Le Grand Ph.E., Paris, 1985, IV, 183.



- ¹⁴ Pline l'ancien, *Histoire Naturelle*, Trad. M. Ajasson de Grandegre, Paris, 1829, VIII, 24.
- ¹⁵ Gsell, St., 1913, *HAAN*, I, p.173.
- ¹⁶ Ait Amara, O., 2014-2015, p.33.
- ¹⁷ Appien, X, 41.
- ¹⁸ Gsell, St., *HAAN*, V, 1927 a, p.182.
- ¹⁹ Tite-Live, *Histoire Romaine*, Trad. A. Flobert, Paris, 1988, XXX, 7.
- ²⁰ أورسيوس، تاريخ العالم، ترجمة بدوي عبد الرحمن، بيروت، 1982، ص. 10، 15.
- ²¹ Ait Amara, O., *Numides et Maures au combat. Etats et armées en Afrique du Nord jusqu'à l'époque de Juba Ier*, Ortacesus, 2013, pp.85-86, 88.
- ²² Pseudo -César, XLVIII.
- ²³ Gsell, St., *HAAN* V, 1927, p.146.
- ²⁴ حارش محمد الهادي، 2013، ص.79.
- ²⁵ Tite-live, XXX, 8, 11.
- ²⁶ Salluste, *Guerre de Jugurtha*, Trad. F. Richard, Paris, 1968, LXXX.
- ²⁷ Gsell, St., *HAAN*, V, 1927, p.149.
- ²⁸ Salluste, XXXVIII.
- ²⁹ Ait Amara, 2013, p.46-47.
- ³⁰ Pseudo-César, *La guerre de l'Afrique*, Trad. A. Bouvet, Paris, 1997, XVIII, 1.
- ³¹ Strabon, XIV, 7.
- ³² Silius Italicus, *La guerre punique*, I, IV, Trad. Miniconi P., Devallet G., Paris, 1979, I, 13.
- ³³ Laporte, J.P., « **Datation des stèles libyques figurées de Grande Kabylie** », *Africa Romana*, pp.411-412, 1992.
- ³⁴ Camps, G., Chaker, S., Laporte J.P., 1996-1998, « **Deux nouvelles stèles kabyles au cavalier** », *B.A.C.*, 25, pp. 19; 32, Paris 1999.
- ³⁵ Camps, G., Chaker, S., Laporte, J.P., pp.19; 21.
- ³⁶ Camps, G., Chenorkian, R. et Lhote, H, 1989, « Armes », *E.B*, VI, p.899.
- ³⁷ Gsell, St., *HAAN* VI, pp.49-50.
- ³⁸ Hérodote, VIII, 71.
- ³⁹ Silius Italicus, III, 304.
- ⁴⁰ عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، عين مليلة، 2008، ص.39.
- ⁴¹ Camps, G., Chaker S., Laporte J.P., 1996-1998, p.30.
- ⁴² Gsell, St., *HAAN* II, p.318.
- ⁴³ Camps, G., Chenorkian, R et. Lhote, H, 1989, p.899.
- ⁴⁴ Hérodote, IV, 175.
- ⁴⁵ Strabon, XVII, 3, 7.
- ⁴⁶ Strabon, XVII, 3, 7.
- ⁴⁷ Gsell, St., *HAAN* VI, p.50.
- ⁴⁸ Ait Amara, O., « **Les armes de protection des combattants numides à l'époque de Massinissa** » Massinissa au cœur de la consécration du premier état numide, Actes du colloque international El Khroub (Constantine) du 20 au 22 sept. 2014), Alger, 2016, pp.275-340.
- ⁴⁹ Desportes V., *Comprendre la guerre*, 2^e éd. Paris, 2001, p.121.
- ⁵⁰ Ait Amara, O., 2013, pp.141-143.
- ⁵¹ Le Bohec, Y., *La guerre romaine : 58 avant J.-C.-235 après J. -C*, Paris, 2014, pp.222-223.
- ⁵² Silius Italicus, I, 218-9.
- ⁵³ Lucain, IV, 736.
- ⁵⁴ Le Bohec, Y., p.280.
- ⁵⁵ Polybe, III, 2,72.
- ⁵⁶ Polybe, III, 71, 9-10.
- ⁵⁷ Ardant du Picq Ch., *Etudes sur le combat. Combat antique et combat moderne*, Paris, 1978, p.30.
- ⁵⁸ مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مجلة علمية محكمة، يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في التاريخ العسكري الجزائري، المجلد السابع، العدد الأول (جانفي 2025)



- ⁵⁸ Salluste, L, 5-6.
⁵⁹ Salluste, LIX, 201.
⁶⁰ Salluste, LV, 8.
⁶¹ Pseudo-César, X, 3.
⁶² Salluste, XXXIV, 73-74.
⁶³ Salluste, LIII, 194.
⁶⁴ Polybe, *Histoire*, Trad. J. Defoucault, Paris, 2004, III, 71.
⁶⁵ Appien III, XII, 46-49.
⁶⁶ Frontin, *Les stratagèmes*, Introduction, Trad. P. Laederich, Paris, 1999, I.
⁶⁷ Tite-Live, XXXV, 11, 7-8.

